عكاشة عبد المنان

الأمر بالمعروف والدعوة إلى الله

دار الروضة
للنشر والتوزيع

دار الروضة



DAR El-RAWdAH.
2DARb El-ATRRAK. El-AzHAR

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله..

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾. (آل عمران: ١١٠)

وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (آل عمران: ١٠٤)

وقال تعالى: ﴿لَيْسُواْ سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَـئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

(آل عمران: ١١٣- ١١٤)

ففى الآية الأولى فضيلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذ بين أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس.. وفى الآية الثانية أمر، وظاهر الأمر الإيجاب.. وفى الآية الثالثة لم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.. وقد نعت الله المؤمنين بأكثر من آية بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فالذى هجر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خارج عن

هؤلاء المؤمنين المنعوتين فى هذه الآيات.. وقد شدد الله باللعن على الذين تركوا النهى عن المنكر فقال عز وجل: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِيَ إِسْرَائِيلَ عَلَىَ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾. (المائدة: ٧٨)

وقمة الأمر بالمعروف، الدعوة إلى الله سبحانه، لأنَّ الخير والفلاح بالعودة إلى هذا الدين، والتوبة إلى الله سبحانه عما سلف، يقول الإمام الغزالى:

اعلم أنَّ وجوب التوبة ظاهر بالإخبار والآيات، وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته شرح الله بنور الإيمان صدره حتى اقتدر على أن يسعى بنوره الذى بين يديه فى ظلمات الجهل مستغنياً عن قائد يقوده فى كل خطوة، فالسالك إما أعمى لا يستغنى عن القائد فى كل خطوة، وإما بصير يهدى إلى أول الطريق ثم يهتدى بنفسه، وكذلك الناس فى طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام، فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد فى خطوة فيفتقر إلى أن يسمع فى كل قدم نصاً من كتاب الله أو سنة رسوله، وربما يعوزه ذلك فيتحير، فسير هذا وإن طال عمره وعظم جدّه مختصر وخطاه قاصر، ومن سعيد شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فيتنبه بأدنى إشارة لسلوك طريق معوصة وقطع عقبات متعبة ويشرق فى قلبه نور القرآن ونور الإيمان، وهو لشدة نور باطنه يجتزىء بأدنى بيان، فكأنه يكاد زيته يضىء ولو لم تمسسه نار، فإذا مسته نار فهو نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء، وهذا لا يحتاج إلى نص منقول فى كل واقعة، فمن هذا حاله إذا أراد أن يعرف وجوب التوبة فينظر أولاً بنور البصيرة إلى التوبة ما هى، ثم إلى الوجوب ما معناه، ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك فى ثبوته لها، وذلك بأن يعلم بأن معنى الواجب ما هو واجب فى الوصول إلى سعادة

الأبد والنجاة من هلاك الأبد فإنه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه لم يكن لوصفه بكونه واجباً معنى. وقول القائل: صار واجباً بالإيجاب، حديث محض فإن ما لا غرض لنا آجلاً أو عاجلاً في فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به، أوجبه علينا غيرنا أو لم يوجبه، فإذا عرف معنى الوجوب وأنه الوسيلة إلى سعادة الأبد، وعلم أن لا سعادة في دار البقاء إلاّ في لقاء الله تعالى، وأن كل محجوب عنه يشقى لا محالة محول بينه وبين ما يشتهي محترق بنار الفراق ونار الجحيم. وعلم أنه لا مبعد عن لقاء الله إلاّ اتباع الشهوات والأُنس بهذا العالم الفاني والإكباب على حب ما لابد من فراقه قطعاً، وعلم أنه مقرب من لقاء الله إلاّ قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والإقبال بالكلية على الله طلباً للأنس به بدوام ذكره وللمحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته، وعلم أن الذنوب التي هي إعراض عن الله واتباع لمحاب الشياطين أعداء الله المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوباً مبعداً عن الله تعالى فلا يشك في أن الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول إلى القرب، وإنما يتم الانصراف بالعلم والندم والعزم، فإنه ما لم يعلم أن الذنوب أسباب البعد عن المحبوب لم يندم ولم يتوجع بسبب سلوكه في طريق البعد، وما لم يتوجع فلا يرجع، ومعنى الرجوع الترك والعزم، فلا يشك في أن المعاني الثلاثة ضرورية في الوصول إلى المحبوب، وهكذا يكون الإيمان لحاصل على نور البصيرة، وأما من لم يترشح لمثل هذا المقام المرتفع ذروته عن حدود أكثر الخلق، ففي التقليد والاتباع له مجال رحب يتوصل به إلى النجاة من الهلاك، فليلاحظ فيه قول الله وقول رسوله وقول السلف الصالح فقد قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى اللّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. (النور: ٣١)..

وهذا أمر على العموم ..

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ تُوبُوَاْ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾.

(التحريم: ٨)

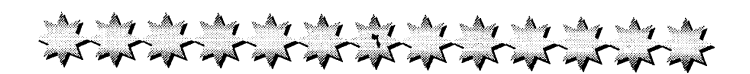
ومعنى النصوح: الخالص لله تعالى خالياً عن الشوائب مأخوذ من النصح، ويدل على فضل التوبة قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

(البقرة:٢٢٢)

وقال عليه الصلاة والسلام :"التائب من الذنب كمن لا ذنب له"

ولا خلاف فى وجوب التوبة، ومن معانيها: ترك المعاصى فى الحال والعزم على تركها فى الاستقبال وتدارك ما سبق من تقصير فى سابق الأحوال، وذلك لا يشك فى وجوبه، وأما التندم على ما سبق والتحزن عليه فواجب، وهو روح التوبة وبه تمام التلافى، فكيف لا يكون واجباً، بل هو نوع ألم يحصل لا محالة عقيب حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع فى سخط الله.. وبعد: عجالة بين يدى الكتاب، وقد قدم له الأستاذ الندوى، وقد أغنانا عن التعريف بصاحب هذا الكتاب، وهو من كتب الخير أسأل الله سبحانه أن ينفع به إنه على ما يشاء قدير، والحمد لله رب العالمين/

عكاشة عبد المنان الطيبى



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

بقلم سماحة الشيخ/ أبى الحسن على الحسنى الندوى

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،

أما بعد: فإن عماد حياة الأمة الإسلامية والقطب الذى يدور حوله نشاطها وحياتها وجدها وكفاحها هو الدعوة إلى الله وتبليغ أحكامه ورسالاته والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومكان هذا العمل بين أعمال هذه الأمة وأخلاقها وسماتها "وهى كثيرة ومهمة" هو المكان الرئيسى والأساسى فهى الغاية التى خلقت لأجلها وبعثت لمصلحتها وقد قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

وقد فتحت هذه الآية الكريمة نافذة عظيمة منيرة كانت مسدودة فى معرفة طبائع الأمم والاطلاع على مزية هذه الأمة من بين شعوب العالم وأثارت علماً دفيناً وكنزاً مضموراً وأحدثت انقلاباً فى النظرة إلى هذه الأمة ومركزها وقيمتها وهو أن ظهور هذه الأمة على منصة العالم ومسرح التاريخ والأمم لم يكن مجرد ظهور مجموعة بشرية أو كتلة إنسانية، ولم تكن موجة من الموجات البشرية الكثيرة ولا من فقاقيع الماء التى تظهر وتختفى وتتكون وتندحر إنه ليس خروجاً كخروج سائر الأمم إنما هو إخراج

(١) سورة آل عمران: ١١٠.

تسيطر عليه الحكمة الإلهية وتمده إرادة الله القاهرة إنما هو تعبير لم يستخدم إلا فى قضايا الأنبياء المكرمين وعباد الله المرسلين وإن كان يفسر بشىء فإنه يفسر بلفظ الإرسال والبعثة.

وقد جاء الحديث الصحيح يفسره، فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال مخاطباً لأصحابه إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين" ولم يكن أحد أعرف من رسول الله ﷺ بخطر هذا التعبير وقيمته، واختصاصه بالأنبياء والمرسلين وقد ورد فى القرآن فى شأن الأنبياء فى مواضع كثيرة يصعب استقصاؤها، ولم يكن رسول الله ﷺ يتكلم جزافاً ويرسل الكلام على عواهنه إنما يزن الكلام وزناً، وقد كان كلامه فضلاً لا فضول فيه ولا تقصير ولا إطراء ولا مبالغة فدل ذلك على أن هذه الأمة هى مقصودة مهيأة ، مأمورة منبعثة، وقد طاب لذلك وساغ لأحد رسل المسلمين الذى اختاره الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص ليكون ترجماناً للإسلام والمسلمين أن يقول فى مجلس ملك الفرس: إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة الناس إلى عبادة اله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.[1]

وذلك كله، لأن الله سبحانه وتعالى قلد هذه الأمة نيابة نبيها الخاتم فى تبليغ آخر الأديان، وخاتمة الرسالات، وهكذا ربط مصير الإنسانية بها، وإلى ذلك يشير قول النبى ﷺ فى إحدى خطبه التى خطبها فى حجة الوداع :"إنه لا نبى بعدى ولا أمة بعدكم" ولذلك ساغ له أن يقول فى ساحة بدر :"اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد".

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

فبقاء الإنسانية ببقاء هذه الأمة وبقاء هذه الأمة ببقاء هذه الصفة الدعوية والمركز الإبلاغي وبمحافظتها على فريضتها الأساسية ونشاطها فى مجال الدعوة إلى الله وتبليغ رسالاته التى حملتها عن نبيها فإذا فقدت هذه الصفة أو أصبحت مغمورة مطمورة ضاعت هذه الأمة أو تحللت وذابت فى خضم الأمم ولجة الغايات والفلسفات ومناهج الحياة، وأشرفت الدنيا على خطر وتعرضت الإنسانية للتلف وأصبحت المدنية كلها جسماً بلا روح ولفظاً بلا معنى.

وقد استقامت هذه الأمة وسارت سيرها الطبيعى واستقامت الأمور وسلمت البشرية ما دامت هذه الأمة محافظة على غايتها ورسالاتها قوية نشيطة فى أمر الدعوة إلى الله، والحسبة على الناس، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وكان إخلالها بهذا الواجب وتقويضها لهذا الركن الركين ثورة على طبيعتها وانحرافاً عن جادتها وجناية على البشرية جمعاء وعلل واختلالات واضطرابات يشاهدها الإنسان ويذوق سمومها فى كل مجال من مجالات الحياة، وفى كل مجتمع من المجتمعات البشرية، ولا سبيل إلى إعادة الأمور إلى نصابها ودخول البيوت من أبوابها إلا بعودة هذه الأمة إلى أداء واجبها وإلى سيرتها الأولى فى أمر الدعوة إلى الله وتبليغ رسالات الله والقيام بالقسط والشهادة لله والحسبة على الأخلاق والأعمال والتعاون على البِّر والتقوى والتواصى بالحق والصبر.

وقد قيض الله لهذه الأمة فى كل دور من أدوار حياتها وفى كل رقعة من رقاع العالم الإسلامى رجالاً يدعون إلى إحياء هذه الدعوة والتمسك بهذه الفريضة، وعودة هذه الأمة إلى نشاطها السابق وكفاحها الأول، تذكر بفضلها هذه الأمة فضلها المنسى، وتعود إلى عملها المهجور وتدب فيها حياة جديدة ونشاط جديد.

وكـان مـن هـؤلاء الـرجال الأفذاذ والمصلحين النوابغ الداعى إلى الله مولانا محمد إليـاس بـن محمـد إسمـاعيل الكاندهـلوى الدهـلوى (١٣٦٣هـ) الذى تنسب إليه جماعة التبـليغ الـتى طـار صـيتها فـى الشـرق والغـرب، وذرع أتـباعها الأرض فـى قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا، ووصلوا الشرق بالغرب، والشمال بالجنوب ، وقد جدد الله به أمـر الدعـوة إلى الله فحبـبت إلى الـنفوس، وهـانت عـليها الرحلات فى سبيلها، وركوب الـبحار والتحليق فى الأجواء وتجشم المصاعب وكثرة الإنفاق فى مصلحتها، وكان للدعوة نفاذ ورواج، وذيوع وشيوع لم يشاهدا من عهد بعد.

ولما كـانت هـذه الدعـوة تقـوم عـلى الإيمـان والاحتسـاب فـى طمعٍ فـى الأجر، والحـرص عـلى اتـباع الأنـبياء والمرسـلين وتقـليد الصـحابة والتابعين وأتباعهم، وأتباع أتـباعهم بإحسـان ويقين اشتدت الحاجة إلى كتابٍ يجمع بين ما ورد فى فضل الدعوة إلى الله فـى القـرآن والحديـث، ووعـد عـليه مـن جـزيل الـثواب وعظيـم الأجر، وما نقل عن الصـحابة والـتابعين والسلف الصالحين، والعلماء الربانيين والرجال الموفقين من تنافس وتسـابق، وعلوِّ همة وقوة نفس، وبعد نظر فى إقامة هذا الركن، وإحياء هذه السنة أشار الداعيـة الكبير على ابن أخيه الأبر، ومحدث العصر الأكبر "مولانا الشيخ/ محمد زكريا بـن محمد يحيى بن محمد إسماعيل الكاندهلوى" أن يؤلف فى هذا الموضوع كتابا متوسطاً يميـل إلى الاختصـار يعـتمد عليه ويلجأ إليه فى إثارة الشعور الإيمانى وإعلاء الهمة فى



سبيل الدعوة وتحمل مشاقها، وتجرُّع مزائرها، والتذوق لحلاوتها مع ما لها من شروط وآداب وملاحظات واحتياطات، فألف هذا الكتاب الذى نسعد بتقديمه، وقد حظى من القبول ما لم يحظه كثير من الكتب المؤلفة فى هذا الموضوع، وأعيد طبعه مرات يصعب إحصاؤها، وتناولته الأيدى وتلقفته الألسن ورردده الخطباء وحفظه المتحفظون ولما انتشرت هذه الدعوة فى الأقطار العربية، وأصبحت جماعات التبليغ فى غدو ورواح، وذهاب وإياب، شعر معنيون بأمر هذه الدعوة بالحاجة إلى نقل هذه الكتب التى تسمى كتب الفضائل إلى اللغة العربية، وقد كانت الكتب العربية من تفسير وحديث وسيرة وتاريخ مادة هذه الكتب، ومصدرها ولكنها اختيار مختار، وجمع جامع، وشرح شارح والجامع أحد المؤلفين كما يعرفه المشتغلين بالتأليف.

وقد وفق الله عدداً من فضلاء ندوة العلماء وأبنائها، وأساتذتها لهذا العمل النافع، فنقل الأستاذ سعيد الأعظمى الندوة "أسباب سعادة المسلمين وشقائهم" والأستاذ واضح رشيد الندوى "فضائل القرآن" والأستاذ محمد الحسينى "مكانة الصلاة فى الإسلام وأهميتها فى حياة المسلم".

وها هو رابعهم الأستاذ محمد رابع الندوى أحد كبار أساتذة الأدب العربى فى ندوة العلماء، ومنشئ صحيفة "الرائد" يقدم إلى القراء ترجمة كتاب "فضائل تبليغ" باسم

"فضائل الدعوة إلى الخير، والتبليغ لدين الله" فى العربية، وهو كاتب مجيد ومترجم قدير، قد ظهر له كتاب "بين التصوف والحياة" نقلاً من أصله الأردى للأستاذ الكبير الشيخ عبد البارى الندوى، نشرته دار الفتح فى دمشق وتلقى بالقبول وترجم إلى اللغة التركية، والأمل وطيد فى أن ينال هذا الكتاب حظه من القبول والعناية، فذلك العهد يجمع مؤلفاتِ المحدث الجليل الشيخ محمد زكريا الكاندهلوى وتراجمها، ونسأل الله مخلصين أن ينفع بهذا الكتاب وأن يحقق به غرضه المطلوب.

أبو الحسن على الحسنى الندوى

٢٠ ربيع الثانى ١٣٩٣هـ

دار عرفات

زاوية الشيخ علم الله الحسنى

رائى بريلى (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤلف

أحمد الله تعالى أولاً، وأصلى وأسلم على رسوله الكريم، وبعد فقد أمرتنى شخصية مباركة ميمونة من جماعة المجددين لدين الله ورجل نابغة من علماء العصر الحاضر ومشائخه العظام بأن أقوم بجمع آيات وأحاديث تتصل بأهمية التبليغ لدين الله وأؤلف منها كتاباً مختصراً.

وبحيث أنى أرى رضا مثل هؤلاء الربانيين ذريعة لنجاتى فى الآخرة وسبباً لتكفير سيئاتى بالطاعة لأمره وها أنا ذا أقدم للقراء هذه العجالة النافعة.

فإنى ألفت نظر كل مدرسة إسلامية، وعناية كل لجنة إسلامية، وكل معهد إسلامى، وكل مركز من مراكز المسلمين، بل وألفت عناية كل مسلم إلى معرفة أن أعظم ما يقع من القصور فى الالتزام بأمور الدين وأشد ما يقع على الدين من هجمات وحملات، لا من قبل الكفار والأعداء وحدهم، بل من نحو المسلمين، وكل ما نراه من شدة انصراف المسلمين عن أداء فرائض الدين وواجباته، لا من عامة المسلمين بل من خاصتهم وأخص خاصتهم كذلك حتى صار ترك الصلاة والصوم أمراً عادياً لا يهتم بها كبير اهتمام، وبلغ الأمر إلى أن الناس يقعون فى الشرك والكفر علانية، ويقعون فيها وهم لا يرون ذلك شيئاً

عظيماً، ولا يعدونه شركاً أو كفراً، فإن كل ما عم وطم وما يزداد قبحاً وفساداً كل يوم، من ارتكاب الناس لكل الأعمال المحرمة، ومن انتشار الفسق والفجور فيهم بصورة ظاهرة، ومن غفلة الناس عن أمور الدين، ومن استخفافهم وسخريتهم منه لم يعد كل ذلك الآن خافياً عن نظر كل إنسان.

وأصبحنا نرى أنَّ الخاصة من علماء الدين وعامتهم كذلك أصبحوا يميلون إلى الانقطاع والانصراف في حياتهم وصار بُعْدُ الناس عن دينهم يشتد بصورة طبيعية مستمرة وهم يبرئون أنفسهم في ذلك فيقولون: إنهم غير مخطئين لأنه لا يدلهم على دينهم أحد ولا يهديهم إليه سبيلا،أما العلماء فإنهم يرون أنفسهم معذورين كذلك يقولون: إن كلامهم لا يؤثر في هؤلاء ولا يسمع لديهم.

ولكني أقول: إن التأويل من كلا الجانبين ضعيف وباطل ولن ينفع عند الله تعالى شيئاً سواء كان من عامة الناس وهو قولهم: إنه لا يحثهم على الخير أحد لأن طلب الأمور الدينية والبحث عنها واجب على كل نفس ولا قيمة لعذر رجل يرى نفسه متبعاً لقوانين حكومة من الحكومات ثم يقول: إنه لم يعرف قوانين البلاد فلما كان ذلك لا يصح في أمر الدنيا فكيف يصح لدى أحكم الحاكمين؟ فإنما يكون ذلك أقبح حتى من اقتراف الذنب نفسه، وأما عذر علماء الدين بأنه لا يسمع لقولهم فلا وزن فيه أيضاً ألا ترون أن الأسلاف البررة الذين تنتمون إليهم قد احتملوا مصائب وشدائد ولم يقصروا في تبليغ الدين فقد رموا بالحجارة ولقوا شتائم وسباباً ولكنهم صبروا وظلوا ثابتين أقوياء في عزيمتهم وكانوا يحملون الشعور كل الشعور بأداء واجبهم نحو تبليغ الدين فقاموا



بتبليغ دين الله إلى الناس ونشروا الإسلام وأحكامه وقاموا بدعوته مع كل عائق وصعوبة واجهوها فى طريق ذلك.

ثم إن ما يزعمه كثير من الناس من أنَّ الدعوة وتبليغ دين الله هو عمل خاص بعلماء الدين فهو غير صحيح أيضاً بل إنما يجب على كل من يرى منكراً وهو قادر على تغييره أو على تهيئة أسباب تغييره أن يقوم بتغيير هذا المنكر ولو افترضنا ما يزعمه الناس ويقولونه من أن هذا العمل خاص بالعلماء فكيف يكون الأمر إذا قصر العلماء فى أدائه بتهاونهم وغفلتهم أو لأسباب أخرى؟ أفلا يكون إذاً من الواجب أن يعد هذا العمل فريضة فى ذمة كل مسلم؟ فإن العناية الكبيرة التى تظهر فى آيات الكتاب وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام فى شأن تبليغ دين الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر غير خافية ولا مستورة وإنها ستبين لك مما سنسوقه فى الفصول الآتية إن شاء الله، وبناءً على ثبوت ذلك لا يمكن أن تبرأ ذمة أى مسلم من مسئولية هذا العمل، فيحيلها إلى علماء الدين وحدهم، أو يكتفى باتهامهم بالتقصير فى أدائه فإنى أوجه نداءً عاماً إلى كل مسلم بأن يساهم اليوم فى عمل الدعوة والتبليغ مساهمة يقدر عليها، وأن يبذل من أوقاته فى هذا السبيل بقدر ما يمكن له.

وليس هناك شك فى أن عمل الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر غير محتاج إلى أن يكون صاحبه عالماً دينياً كاملاً فإن كل من يعرف شيئاً من أحكام الدين فمن مسؤليته أن يبلغ ذلك للآخرين، وإذا رأى منكراً وهو قادر على منعه أو تغييره فيجب عليه أن يقوم بمنعه أو تغييره.

الفصل الأول

الدعوة والتبليغ كما تدل عليه آيات القرآن الكريم

أذكر في هذا الفصل آيات من كتاب الله سبحانه وتعالى مما تؤكد على ضرورة القيام بالدعوة الدينية، وتحث على اختياره، فإنى أريد أن أتبرك بها، كما سأشرح بمساعدتها مدى ما يحمله هذا العمل عند الله سبحانه وتعالى من أهمية، فقد ذكر الله تعالى هذا العمل فى كتابه بطرق مختلفة وبسياقات متعددة، فإن عدد الآيات التى ذكره فيها - على ما وصل إليه علمى الضعيف - ستون آية وكلها فى الحث على هذا العمل والإنذار من تركه فلو اعتنى رجل ببحث دقيق فى الأمر فقد يجد عدد هذه الآيات كبيراً جداً ولما كان ذكر جميع الآيات سبباً إلى إطالة الكلام رأيت الاكتفاء ببعض آيات منها:

١) قال الله عز وجل اسمه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1].

قال المفسرون فى شرح هذه الآية: إن كل من يقوم بالدعوة إلى الله فإنما يستحق هذه البشرى ويستحق المدح المذكور فيها أياً ما كانت طريقته فى قيامه بهذه الدعوة ومثاله أنك ترى أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يدعون إلى الله بالمعجزات، أما العلماء فيقومون بالدعوة عن طريق الحجج العلمية، والمجاهدون يقومون فى سبيل الله بهذا العمل عن طريق السيوف، والمؤذنون ينادون إلى الله بكلمات أذانهم، وكلها طرق للدعوة،

(١) فصلت: ٣٣.

فكل من يدعو إلى الخير فهو يدخل فى مصداق هذا القول الشريف، سواء كان يدعو إلى أعمال الخير الظاهرة، أو إلى أعماله الباطنة كدعوة المتصوفة إلى معرفة الله تعالى [1] وكتب المفسرون أن آية "وقال إننى من المسلمين" تشير إلى لزوم اعتزاز المسلم بإسلامه مع ثباته عليه، وهو أن يرى لذلك شرفاً لنفسه ويذكر ميزته هذه مفتخراً بها، وقال بعض المفسرين أن المقصود ليس أن يصف نفسه بالعظمة إعجاباً بوعظه ونصحه وتبليغه، بل يصف نفسه بأنه رجل من أتباع الإسلام.

٢) وقال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2] شرح المفسرون هذه الآية بقولهم: إن المقصود بذلك هو التذكير بآيات القرآن، فإن ذلك نافع جداً، أما نفعه فى حق المؤمنين فظاهر، وأما فى حق الكفار فلأننا نرجو أنهم سيقتلون على دين الله ويدخلون فى زمرة المؤمنين ويصبحون بذلك مصداق هذه الآية الكريمة، ولقد انسدت اليوم طرق الوعظ والنصح الحقيقيين إلى حد كبير، وصار غرض الواعظين بصورة عامة هو إمتاع النفوس وإظهار البراعة فى الكلام، لينالوا بذلك مدح الناس ورضاهم ببراعتهم، مع أن النبى ﷺ يقول كما جاء برواية أبى هريرة رضى الله عنه: "إن من تعلم صرف الكلام ليسبى به قلوب الرجال أو الناس لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً وعدلاً".[3]

---

(١) "تفسير الخازن" كما نسبه المؤلف.

(٢) الذاريات: (٥٥)

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٠٦) بسند ضعيف

٣) وقال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[١] وجاء في أحاديث متعددة أن النبي ﷺ إذا أحبَّ لرجلٍ أن يزول عنه ضيقه في معيشته فكان يأمره بالصلاة، ويحثه عليها ويتلو هذه الآية الكريمة مشيراً إلى أن الوعد بالسعة في الرزق إنما علق بالاهتمام بالصلاة[٢] وكتب العلماء أن أمر الله سبحانه وتعالى للرجل في هذه الآية بالاهتمام بآداء الصلاة مع قيامه بأن يأمر به غيره أيضاً، لم يرد إلا لأن ذلك مفيداً جداً، فإنه عندما يهتم بأدائها ثم يقوم بتبليغها، فسيكون وعظه أكثر تأثيرا على غيره كما يكون سبباً لاهتمام غيره أيضاً، ولذلك أرسل الله تعالى الأنبياء عليهم السلام للقيام بالهداية ليكونوا بأنفسهم قدوة للناس، فيسهل العمل على العاملين ولذلك لن يكون معقولاً أن يخطر ببال الناس أن كذا وكذا من الأعمال المأمور بها صعب لا يمكن أداؤه، أما ما وعد الله به تعالى من الرزق على ذلك فمن فائدته أنَّ الاهتمام بأداء الصلوات في أوقاتها قد يجر إلى وقوع بعض الضرر في وسائل المعيشة ظاهراً وذلك بوجه خاص في التجارة أو الوظيفة فلذلك أزال الشك في هذا الأمر بما وعد به من كونه في يد الله سبحانه وتعالى وكان ذلك كله من الناحية الدنيوية، وخير ذكر كأساس مبدئي وأمرٍ بديهي أنَّ العاقبة الحقيقة هي للمتقين، لا يشاركهم في ذلك أحد.

---

(١) طه (١٣٢)

(٢) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٤/ ٣١٣ ونسبه إلى أبي عبيد وسعيد بن منصور وابن المنذر والطبراني في الأوسط والبيهقي في "شعب الإيمان" بسند صحيح.

٤) وقال الله تعالى: ﴿يَبُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىَ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[1].

ذكر الله تعالى فى هذه الآية الكريمة أموراً عظيمة ولا شك أنها أمور هامة جداً وهى ذريعة إلى كل نجاح ولكننا جعلناها وراء ظهورنا.

أما الأمر بالمعروف فلا تسأل عنه فقد أوشك أن يتركه الجميع، أما العبادات فأهمها هى الصلاة وهى أهم منزلة بعد الإيمان، أليست الغفلة عنها قد بلغت مبلغاً كبيراً جداً، ألسنا نرى الملتزمين بأداء الصلاة ـ فضلاً عن تاركى أدائها ـ أنهم يقصرون فى الاهتمام التام بها، وبالأخص فى أدائها مع الجماعة وذلك الذى تجد الإشارة إليه فى قوله : "أقم الصلاة" فإننا مع كل أسف لا نجد الاهتمام به اليوم إلا فى فقراء المسلمين، أما أغنياء المسلمين وسراتهم فكأنهم يرون لأنفسهم فى حضور المساجد عيباً وعاراً، فإلى الله المشتكى.

٥) وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2] أمر الله سبحان وتعالى فى هذه الآية الكريمة بالتزام أمرٍ عظيم، وهو وجوب أن تتخصص جماعة من المسلمين للقيام بدعوة الناس إلى الإسلام كان هذا الأمر للمسلمين، ولكننا تركناه مع الأسف بصورة كاملة واختارها غير المسلمين وقد التزموا بها بكل عناية، فقد ترى جماعات

(١) لقمان: ١٧.

(٢) آل عمران: ١٠٤.

من النصارى قد تخصصت للدعوة لدينهم في أنحاء العالم كله، وتجد ذلك في أمم أخرى أيضاً، فقد تخصص فيها أفراد وأشخاص لهذا الغرض، فهل توجد في المسلمين جماعة تقوم بهذا العمل؟ إذا لم يكن ردكم على سؤالي هذا بلا، فليس من السهل أيضاً أن يكون هذا الجواب بنعم، وقد أصبح من عادة المسلمين أن جماعة أو شخصاً إذا قام بهذا العمل يستهدفونه بانتقاداتهم وطعنهم، وبذلك تنهار همته عن ذلك انهياراً، ويقعد عن العمل، إما هذا اليوم أو في غدٍ، مع أن واجب النصيحة والتعاون المفروض على كل مسلم في هذا السبيل كان يقتضي أن تحصل منه المساعدة لأخيه والسعي لإصلاح تقصيره إن كان فيه تقصير، لا أن يتراخى هذا الرجل بنفسه عن العمل، ثم ينتقد العاملين، ويطعن عليهم حتى يجعلهم مضطرين إلى القعود أخيراً.

٦) ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1] وقد ورد بكل وضوح في عددٍ من الأحاديث الشريفة عن المسلمين أنهم أشرف الناس، وورد عن الأمة المحمدية أنها أشرف الأمم، وقد جاء مثله في آيات القرآن الكريم أيضاً حيناً بوضوح وحيناً بإشارات وهذه الآية الشريفة تدل أيضاً على هذا المعنى كما تشير الآية إلى سبب ذلك أيضاً وهو أنكم خير أمة لأنكم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر.

وذكر المفسرون أن هذه الآية ذكرت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قبل ذكرها للإيمان وإن كان الإيمان أصل كل شيء ولا قيمة في خير إذا لم يكن معه الإيمان والسبب

---

(١) آل عمران: ١١٠.

فى ذلك هو أن الإيمان صفة اشتركت مع الأمة الإسلامية فيها أمم سابقة أيضاً ولكن الذى يـرفع الأمة الإسلامية من بين أتباع الأنبياء السابقين جميعاً بصورة خاصة هو هذا الأمر بالمعـروف والـنهى عـن المنكر وهو درة مميزة على جبين هذه الأمة وبحيث أن أى عمل مـن أعمـال الخـير لا يكـون مقـبولاً عند الله تعالى إلا إذا كان مع الإيمان فلذلك أتى ذكره كقيـد مـن قيـود ذلك وإن لم يكن ذكره بعينه مقصوداً حقيقياً فى هذه الآية الكريمة، ولما كـان الأمـر بالمعـروف والـنهى عـن المـنكر هو المقصود فى هذا الموضع قدمه فى ذكره على غـيره. أمـا المـراد مـن كونـه درة لامـتياز هذه الأمة فيظهر من وجوب الاهتمام به وبذل العـناية الخاصـة بـه فليس القيام بالتبليغ بصورة سطحية عاجلة مفيداً وكافياً لأنه بهذا المستوى كان موجوداً فى الأمم السابقة أيضاً كما يظهر من آية: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِـــهِ﴾[1] ومن غيرها من الآيات، فميزة الأمة الإسلامية مرتبطة بعنايتها الخاصة بهذا العمـل وهـو أن يـتخذه عمـلاً دائماً ويشتغل فيه كما يشتغل فى غيره من الأعمال الدينية الأخرى.

٧) وقـال الله تعـالى: ﴿لاَّ خَيْــرَ فِـــي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾[2].

لقـد وعـد الله سـبحانه وتعـالى فـى هـذه الآيـة القائمين بالأمر بالمعروف بالأجر العظيـم وكـم يكـون الأجـر عظيماً ويكون مقداره كثيراً إذا كان الله سبحانه وتعالى بنفسه

(١) الأعراف: ١٦٥.

(٢) النساء: ١١٤.

يصفه عظيماً وأما تفسير هذه الآية فقد ذكرت الكتب أنه روى: عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصدقة والصلاة؟ قال: قلنا: بلى، قال: "إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين هى الحالقة"[1]. ووردت نصوص كثيرة فى الحث والتأكيد على القيام بإصلاح ما بين الناس، ولا حاجة هنا إلى ذكرها، وإنما المقصود هى الدلالة على ضرورة اهتمام المسلم بما وسعه من الوسائل للإصلاح بين الناس، فإنه عمل يدخل فى نطاق الأمر بالمعروف أيضاً.

(١) أخرجه الإمام أحمد ٤٤٤/٦، وأبو داود (٤٩١٩) والترمذى (٢٥٠٩) وابن حبان (١٩٨٢) والبخارى فى (الأدب المفرد) (٣٩٣) والبغوى (٥٩٧/١) وصححه ابن حبان والترمذى.

الفصل الثانى

تأكيد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كما تدل عليه أحاديث الرسول ﷺ

نذكر فى هذا الفصل عدداً من الأحاديث الشريفة مما يتصل بموضوعنا فى هذا البحث، وليس غرضنا هنا أن نقص جميع الأحاديث المتصلة بهذا الموضوع، ولا يسعنا ذلك ولو جمعنا أحاديث كثيرة، ومن الذى يقرأها ويتأمل فيها اليوم؟ فقد شغل الناس فى هذه الأيام عن الرغبة فى مثل هذا، ولا يسعه وقتهم أيضاً فلذلك آثرنا الاكتفاء بالضرورى القليل لنلفت الأنظار إليه، ولنبلغ إلى قرائنا ما وجدناه من شدة تأكيد رسول الله ﷺ على الإقبال عليه، وما قام به من إنذار ووعيد لمن يتركه ويتغافل عنه.

فهنا عدد من الأحاديث الشريفة نقدمها إليكم.

١) عن أبى سعيد الخدرى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"[١].

وقد وورد فى حديث آخر: "ومن لم يستطع أن يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برئ وذلك أضعف الإيمان"[٢].

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩) والترمذى (٢١٧٢) والنسائى (١١١/٨) وأبو داود (١١٤٠) وابن ماجه (٤٠١٣) وأحمد (٥٤/٣، ٥٣، ٥٢، ٤٩، ١٠، ٢٠).

(٢) وهذه اللفظة للنسائى ١١٢/٨.

وورد فـي حديث آخر: "فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"[1].

وهـناك أحاديث مختلفة رويت عن رسول الله ﷺ وهي تتحدث عن الأمر الهام فلـنفكر فـي هـذا الشأن وننظر إلى نقصنا في ذلك فما أقل بين الناس من يغير بيده المنكر عـندما يـراه أو يقـوم باستنكاره ويصفه بأنه حرام أو يكون على الأقل في آخر درجة من درجات الإيمان فيكرهه ويتألم عندما يرى وقوعه.

فكـروا فـي ذلـك إخوانـي، فكـروا فيـه وأنـتم بخـلوة ثم انظروا ماذا كان يجب وماذا حدث.

٢) عـن الـنعمان بـن بشـير قال: قال رسول الله ﷺ: "مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فـي أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا نصيبنا خرقاً ولم نـؤذِ مـن فوقـنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً"[2].

عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها فزعاً يقول: "لا إلـه إلا الله، ويـل لـلعرب مـن شـر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه

(١) أخرجه مسلم (٥٠)من رواية عبد الله بن مسعود.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٩٣) و (٢٦٨٦).

وحلق بين إصبعيه الإبهام والتى تليها فقلت أنهلك وفينا الصالحون قال: نعم إذا كثر الخبث"[1].

نجد فى كل مناسبة وفى كل مكان أن الناس يكثرون ذكر انحطاط المسلمين وسقوطهم وينعون علة حالتهم الحاضرة ويقترحون بشتى الطرق لإصلاح وضعهم وحالتهم ولكن أحداً من "الرجعيين" (علماء الدين) لا ينظر ـ فضلاً عن المتنورين المثقفين بالثقافة الجديدة إلى المرض الذى ذكره وأخبر به طبيبنا الحقيقى وربنا الرحيم ولا إلى الدواء الذى وصفه لعلاجه ولا ينظرون إلى أى حد قاموا بهذا العلاج أليس من ظلمهم وجورهم أن الأمر الذى كان من أكبر أسباب هذا المرض أصبحوا يصفونه علاجاً للمرض نفسه (ليس الأمر إلا أنهم يتغافلون عن الالتزام بالدين ووسائله ويستبدون بآرائهم مع أنهم يطلبون رقى الدين وقوته) فلا عجب إذاً إذا هلك المريض بهذا الدواء إما اليوم وإما فى غدٍ.

٣) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع به فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك من أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال: "لعن الذين كفروا من

---

(١) أخرجه البخارى (٣٣٤٦) و (٣٥٩٨) و (٧٠٥٩) و (٧١٣٥) ومسلم (٢٨٨٠) وأبو داود (٤٢٤٩) والترمذى (٢١٨٧) وابن ماجه (٣٩٥٣) وأحمد ٣٩٠/٢ و ٣٩١ و ٥٣٦ و٥٤١ و ٤٢٨/٦ و٤٢٩ والحاكم ١٠٨/١ و ٤٣٩/٤ و ٤٨٣ وابن شيبة ٥٥/١٥ و ١٨٧ و ٢٤٥ وعبد الرزاق (٢٠٧٣٠) و (٢٠٧٤٩) و (٢٠٧٧٧) والطحاوى فى "شكل الآثار" ١٣٠/١ و ٩٦/٣ وغيرهم.

بنى إسرائيل" إلى قوله تعالى: "فاسقون" ثم قال: "كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرن على الحق أطراً"(١).

وقد ورد فى حديث آخر: قال رسول الله ﷺ: "لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى نهاهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم فى مجالسهم، وآكلوهم، وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون"، فجلس رسول الله ﷺ وكان متكئاً فقال: "لا والذى نفسى بيده حتى تأطروهم على الحق أطراً"(٢).

وذكر أثناء الحديث آيات من القرآن الكريم تأيداً لقوله لأن هذه الآيات تشمل على بيان لعنة الله على هؤلاء، وأحد الأسباب العديدة لهذه اللعنة، هو أنهم لم يكونوا يتناهون عن منكرٍ فعلوه.

يستحسن الناس اليوم أن يكونوا مسالمين كل المسالمة فلا يتكلمون فى أى مناسبة إلا ما يناسب تلك المناسبة، ويعدون ذلك كمالاً ورحابة فى السلوك والخلق، مع أن ذلك خطأ إذا كانت هذه الرحابة مطلقة وبصورة عامة، ولكن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذا لم يكن مؤثراً أو مفيداً فى موضوع كان فيه الصمت والمسالمة جائزاً فقط، ولكن بدون الموافقة والتأييد للحال السائد أما المواضع التى ينفع فيها الأمر بالمعروف مثل شؤون الأولاد وشؤون من هم تحت إشرافه وفى رعايته، فلن يكون الصمت والرضا فى

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٣٦) والترمذى (٣٠٤٨) وابن ماجه (٤٠٠٦) والبيهقى فى (السنن) ٩٣/١٠ وفى سنده انقطاع

(٢) وهذا اللفظ للترمذى (٣٠٤٨).

هـذه المواضـع حسـناً، ولـن يسـمى بكمال الخلق، بل إنما يعد الساكت عن الحق فى هذه المواضع مجرماً فى قانون الشريعة والاجتماع كليهما.

ولقد ورد فى روايات عديدة أن الذنب الذى يقترفه رجل فى الخفاء يكون ضرره عـلى المقـترف وحـده، ولكـن الذنـب الـذى يقع بصورة مكشوفة وبحيث يمكن للناس أن يمنعوه ولكنهم لا يمنعوه فإذن يكون ضرره عاماً على الجميع[1].

فليـنظر كـل واحـد منا إلى ما حوله ويفكر فى كم من الذنوب والسيئات يسعه أن يـنكرها ويغيرها ولكنه يتغاضى عنها ويتغافل فيها ويعرض عنها، والظلم الأكبر هو أن رجـلاً مـا إذا أراد أن يـنكر هـذه الذنـوب ويـنهى عنها قام الناس لمخالفته يصفونه بقلة الحكمـة وضعف البصيرة يعارضونه معارضة فضلاً عن أن يعاونونه ويساعدونه فى قيامه بالخير والحق: ﴿وَسَيَعْلَمْ الَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[2].

٤) عـن جرير بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من رجل يكون فى قوم يعمـل فيهـم بالمعاصى يقدرون على أن يغيروا عليه ولا يغيرون إلا أصابهم الله بعقاب قبل أن يموتوا"[3].

---

(١) لقد جـاء فى رواية لعدى الكندى أنه سمع رسول الله (ص) يقول: "إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهـم قـادرون عـلى أن يـنكروه، فـإذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة" أخرجه الإمام أحمد ١٩٢/٤ والبغوى فى شرح السنة (٤١٥٥) والطبرانى فى "الكبير" (١٣٩/١٧، ١٣٨)وابن المبارك فى "الزهد" (٤٧٦) والبغوى أيضاً فى "التفسير" ٢٣/٣والطحاوىفى "مشكل الآثار" ٦٦/٢ وللحديث شواهد.

(٢) الشعراء: ٢٢٧.

(٣) أخـرجه أبـو داود (٤٣٣٩) وابـن ماجـه (٤٠٠٩) وأحمـد ٣٦٤/٤ و ٣٦٦ و ٣٦١ والـبيهقى فى "السنن" ٩١/١٠ والطبرانى فى "الكبير" ٢/ ٣٧٧ وإسناد الحديث حسن.

يـا سـادتى وأصـدقائى الذيـن يحـبون عـزة الإسلام ومجده، انظروا فإن هذه هى أسـباب انحدار المسلمين وانحطاطهم المستمر، فلينظر كل واحد إلى ذويه ولو نظره واحدة لا إلى غـيره ولا إلى مـن فـى منزلـته ومسـتواه، بل إلى أفراد أسرته وإلى من تحت رعايته وإلى أولاده وإلى مرءوسيه لينظر كل واحد إلى تلك المعاصى الظاهرة التى يقع فيها هؤلاء، ثـم ليـنظر هـل هـو يمـنعهم مـن ذلـك عن طريق وجاهته لديهم وأثره عليهم، أم يسكت أمـامهم ودعـوا عـنكم أمر القيام بالمنع عن المعاصى، بل انظروا هل أردتم يوما منعهم من ذلك أو خطر على بال أحدكم أن حبيبه يفعل كذا وكذا مع أنه إذا صدرت منه جريمة فى شـأن الحكومـة السـائدة أو حضـر فـى إحـدى الحفلات السياسية المحظورة لم يكن منك تجاهه إلا انزعاج وخوف شديد من أن يصيبك أنت أيضاً اتهام أو شك فى ذلك فتسرع إلى زجـر صـاحبك وتحاول تبرئة نفسك مما قد يلحقك فى هذا الشأن من ريبة أو مكروه هل فكـرتم أبـداً فـى الموقـف الذى تقفونه بالعكس منه تجاه مرتكب الجريمة فى شأن أحكم الحاكمين.

أليـس مـن الواقـع الـملموس يـا أخـى أنك قد تعرف كل المعرفة أن ابنك الحبيب مغـرم بـلعب الشطرنج وأنه يتلهى بلعب الأوراق ويترك أداء الصلاة فى مختلف أوقاتها ولكـنك مـع ذلـك لا تبدى على ذلك استنكار ولا تقول له: ماذا تفعل؟ فهذا يا أخى ليس مـن شـأن المسـلمين مـع أنـك كـنت مأموراً حتى بأن تهجر المؤاكلة والمشاربة معه كما مر سابقاً فما أبعد الفرق بين الحالتين والطريقتين.

ويوجـد عـدد كـبير مـن الـناس يقوم بالسخط والغضب على أولاده لأنهم يقضون أوقـاتهم فـى الكسـل والـبطالة ويؤثـرون الـبقاء فى البيوت كأنهم أحلاسها ولا يحاولون

للحصول على وظيفة ولا يؤدون واجبهم نحو حانوتهم أما إذا بحثنا بجانب ذلك عن أناس يغضبون على أولادهم لأنهم يتكاسلون فى حضور الصلاة جماعة أو أنهم يصلون الصلاة قضاء فلا نجد هؤلاء إلا نادراً.

سادتى وأصدقائى: إن هذه الأمور لو كانت مما تستوجب المصيبة فى الآخرة وحدها لكانت لائقة بأن يجتنبها الناس اجتناباً شديداً ولكن الأدهى والأمر هو أن أضرار حياتنا المادية هذه وخسائرها التى تعد أهميتها أشد من أهمية الخسارة الأخروية ليست نتيجة إلا لهذا التهاون والتقصير انظروا إلى أى حد بلغت غباوتنا هذه وتقصيرنا وضلالنا، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾[1].

كما أن هذه الحالة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ﴾[2].

٥) روى عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: "لا تزال لا إله إلا الله تنفع من قالها وترد عنهم العذاب والنقمة ما لم يستخفوا بحقها، قالوا: يا رسول الله ما الاستخفاف بحقها؟ قال: يظهر العمل بمعاصى الله فلا ينكر ولا يغير"[3].

انظروا إلى أى حد بلغت المصيبة فى أمر الله اليوم، هل بقى لها حد لم تبلغ إليه، أما محاولة إنكارها وصدها أو تغييرها بعض التغيير فمفقود ومتروك، فحينئذ إذا

---

(١) الإسراء: ٧٢.

(٢) البقرة: ٧.

(٣) ذكره المنذرى فى (الترغيب) ٢٣١/٣ والزبيدى فى (الإتحاف) ٣٣٤/٩ والهندى فى (الكنز) (٢٢٣).

بقى للمسلمين وجود مع هذا الوضع الخطير، فإنما يستحق أن يعد نعمة من نعم الله تعالى ولا غير، مع أننا لم نكن جدرين بذلك لأننا لم نترك سبباً ولا وسيلة تسوقنا إلى الهلاك إلا اخترناه.

عن عائشة رضى الله عنها قالت: يا رسول الله إن الله أنزل سطوته بأهل الأرض وفيهم الصالحون فيهلكون بهلاكهم؟ فقال: "يا عائشة إن الله عز وجل إذا أنزل سطوته بأهل نقمته وفيهم الصالحون فيصيرون معهم، ثم يبعثون على نياتهم"[١].

ولذلك يجب على أولئك الذين اعتمدوا على صلاحهم وتدينهم أنفسهم وقعدوا منقطعين عن الاهتمام بالحالة السيئة التى يقع فيها غيرهم، أن لا يغفلوا عن الخطر، فإنه لو نزل عذاب الله عقاباً على انتشار السيئات والآثام، فلن يكون هؤلاء الصالحون أيضاً فى منجى منه.

٦) عن عائشة قالت دخل على النبى ﷺ فعرفت فى وجهه أن قد حضر شىء فتوضأ وما كلم أحد فلصقت بالحجرة أستمع ما يقول، فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال: يا أيها الناس، إن الله تعالى يقول لكم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم، وتسألونى فلا أعطكم، وتستنصرونى فلا أنصركم فما زاد عليهن حتى نزل[٢].

---

(١) أخرجه ابن حبان كما فى (الموارد) (١٨٤٦) بسند ضعيف فيه عمرو بن عثمان الرقى.

(٢) أخرجه الإمام أحمد ١٥٩/٦ وابن ماجه (٤٠٠٤) وذكره الهيثمى فى "المجمع" ٢٦٦/٧ وقال: رواه أحمد والبزار وفيه عاصم بن عمرو أحد المجاهيل.

يجب أن يفكر فى ذلك كل من يأمر بالتسامح والتساهل فى أمر الدين عند ما تمس الحاجة إلى مقاومة العدو، وذلك لأنه لا يمكن نصرة المسلمين وإعانتهم إلا بالصلابة فى الدين، فإن الصحابى الجليل أبا الدرداء يقول: ليكن منكم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإلا سلط الله عليكم ملكاً لن يحترم كبيركم ولن يرحم صغيركم، وحينئذ إذا دعا الصالحون منكم فلن يستجاب لدعائهم، وإذا استنصرتم فلن تنصروا، فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1].

وورد فى آية أخرى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[2].

وعن حذيفة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: "والذى نفسى بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً من عنده، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم"[3].

وهنا يمكن لنا ولحضرات إخواننا أن نفكر فى أمر المعاصى والسيئات التى نقترفها ونرتكبها، فإنه يسعنا بذلك أن نعرف لماذا نضيع جهودنا ويبطل التأثير من دعواتنا، وهل نستوجب بذلك لأنفسنا التقدم والرفعة أو نستوجب الانحطاط والذلة.

---

(١) محمد: ٧.

(٢) آل عمران: ١٦٠.

(٣) أخرجه الترمذى (٢١٦٩) وأحمد ٣٨٩/٥ والطبرانى فى "الكبير" ١٠/١٨٠ والشجرى فى "الأمالى" ٢٣١/٢ وللحديث شواهد يتحسن بها.

٧) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا عظمت أمتى الدنيا نزعت منها هيبة الإسلام، وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حرمت بركة الوحى، وإذا تسابت أمتى سقطت من عين الله"[١].

اعلموا أيها المنادون بتقدم الأمة وخيرها أن كل واحد من أبناء الأمة إنما يسعى لمجد الإسلام ومجد المسلمين، ولكن الوسائل التى تختار لهذا الغرض لا تسوق إلا إلى الانحطاط والسقوط، إنكم أيها الأخوة إذا كنتم تؤمنون بأن رسولكم (نفسى فداه ﷺ) هو الرسول الحق، وأن تعاليمه هى التعاليم الصادقة فلماذا تنظرون إلى ما يصفه ﷺ من الأمور بأنها أسباب المرض وأنها أسس الفساد والسقوط بنظرة الإنكار بل ترونها بعكس ذلك من أسباب الشفاء والصحة، وقد قال النبى ﷺ: "لن يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به"[٢] ولكنكم أيها الأخوة تريدون أن يزول عن طريقكم هذا الستار الدينى ليسعكم من بعده التقدم والرقى على غرار الأمم الأخرى، وقد قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[٣].

---

(١) ذكره العجلونى فى "كشف الخفاء"١١٢/١ والسيوطى فى "الدار المنثور" ٣٠٢/٢ والزبيدى فى "الإتحاف" ٥١٥/٤ وإسناده ضعيف عند الحكيم الترمذى.

(٢) أخرجه الخطيب فى "تاريخ بغداد"٣٦٩/٤ بإسناد ضعيف.

(٣) الشورى: ٢٠.

ورد عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، ومزق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له"[1].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: تلا رسول الله ﷺ: "من كان يريد حرث الآخرة" الآية، قال: يقول الله: ابن آدم، تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنىً، وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً، ولم أسد فقرك"[2]

هذا قول الله وقول رسوله، ثم ترون أنتم أن تخلف المسلمين وضعفهم في مجال الرقي والتقدم إنما جاء بسبب أن الوسائل والأسباب التي تختار للسير في مدارج الرقي والتقدم إنما يعرقل فيها علماء الدين، هؤلاء الطامعون، فياله من سخافة إنه لو كان هؤلاء العلماء طامعين في الدنيا لكان هذا التقدم والرقي الذي قد تحصلون عليه موضع غبطه وسرور لهم، لأن أرزاقهم تأتي إليهم كما تزعمون من في أيديكم، فكلما اتسع نطاق رقيكم وكثرت مكاسبكم كان سبباً لاتساع رزقهم أيضاً، فلماذا يعارض هؤلاء المغرضون جهودكم وآراءكم، فهل هناك سبب أو اضطرار يجبرهم على أن يحرموا أنفسهم من المنافع، ويخربوا بيوتهم ويفسدوا معاشهم أيضاً بإغضاب مربيهم ومحسنيهم أمثالكم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٦٥) وابن ماجه (٤١٠٥١) وإسناد ابن ماجه صحيح قاله البوصيري في "مصباح الزجاجة" وصححه الشيخ الألباني في "الصحيحة"(٩٤٩).

(٢) أخرجه الحاكم ٤٤٣/٢ وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه مختصراً بدون ذكر الآية الترمذي (٢٤٦٦) وابن ماجه (٤١٠٧) وأحمد ٣٥٨/٢ وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

فكروا ساعة يا أصدقائي وإخواني إذا كان هؤلاء العلماء "الرجعيون" يقولون قولاً تجدونه بوضوح في كتاب الله نفسه، فليس انصرافكم عن هذا القول وإعراضكم عنه إلا مخالفاً للعقل بل ومخالفاً للعظمة الإسلامية كذلك، وإن هؤلاء العلماء الرجعيين مهما كانوا ضعفاء قاصرين لكنهم ماداموا يبلغون إليكم قول الله عز وجل وقول رسوله الكريم ﷺ، فيجب عليكم امتثاله، وإذا أعرضتم عنه فستسألون عن ذلك يوم القيامة، وهل يوجد عاقل يسمح لشخص ما بأن يقول عند مخالفته لقانون حكومة بلاده إني أخالفه، لأن الذي أخبرني بهذا القانون كان من المنبوذين أو الكناسين.

لا تقولوا: إن هؤلاء الشيوخ الذين يعلنون عن أنفسهم الاختصاص بالأعمال الدينية ينالون مكسباً من أصحاب الدنيا، فإني أرى وأقول: إن شيوخ الدين التحقيقيين لا يأخذون لأنفسهم شيئاً، بل كلما ازداد اشتغالهم بالعبادة زاد فيهم الاستغناء والتعفف حتى في قبول الهدايا غير المال الذي يسألونه لتحقيق مشاريع الدين، ولسد حاجاته وأداء مهامه، فإن ذلك عمل حسن، وسوف يثابون عليه عند الله تعالى أكثر مما سيثابون على عدم سؤالهم لأنفسهم.

ويعترض كثير من الناس بقولهم إنه ليس في دين محمد ﷺ تعليم بالرهبانية، وإن الدين والدنيا قد جمعا في الإسلام كما يشير إليه قول الله عز وجل: ﴿ وِمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[1] فالمعترضون يكثرون ذكر هذه الآية كأنما هذه الآية وحدها نزلت بالعمل بها

(١) البقرة: ٢٠١.

فـى القـرآن، إنهـم كـان من الواجب عليهم أن يسألوا الراسخين فى العلم عن تفسير هذه الآيـة، ولذلـك قـال العـلماء: إن الـرجل الـذى ظـن عن نفسه بعد مجرد قراءته لترجمة معـانى القرآن الكريم أنه أصبح عالماً بالقرآن لم يجاوز أمره أمر الغباوة والجهالة، أما ما نقل عن الصحابة الكرام والعلماء التابعين من تفسير لهذه الآية الشريفة فهو كما يأتى.

روى عـن قتادة رضى الله عنه أن المراد من حسنة الدنيا هى السلامة والكفاف من الـرزق[1]، وروى عن على رضى الله عنه: أن المراد منها هى الزوجة الصالحة، وروى عن الحسـن البصـرى رحمـه الله أن المراد منها هو العلم والعبادة، وروى عن السُّدى أن المراد مـنها هو المال الطاهر، وروى عن ابن عمر أن المراد هم الأولاد الصالحون، ومدح الخلائق لـه، وروى عـن جعفـر رضـى الله عـنه أن المـراد مـنها هـو الكفايـة فى الصحة والقوت، وحصول الفهم لكلام الله عز وجل، والغلبة على الأعداء ومصاحبة الصالحين[2].

أمـا إذا كـان الأمر هو النوع الثانى، وهو الرقى الدنيوى بكل أنواعه، وهو الذى تـرغب إليـه نفوسنا جميعاً، فإن الآية تتضمن على الدعاء له من الله سبحانه وتعالى، ولا نتضمن على أن ننصرف إلى طلبه وتحصيله كل الانصراف، وتشتغل به اشتغالاً زائد، أما طـلب شـىء مـن الله سبحانه وتعالى والدعاء له، وإن كان ذلك لإصلاح الحذاء الذى تحطم فـى رجلـه، فإنما يدخل فى الأمور الدينية نفسها، وإنى أسألكم أيها الإخوان، من الذى يـنهاكم عـن طـلب الحصـول على الدنيا وطلب الرزق عن طريقها، فإنما يجوز لكم طلبها كل الجواز، فليس من غرضنا أبداً أن نترك الدنيا هذه الرغيبة المغتنمة عندكم كل الترك.

---

(١) رواه الطبرى فى تفسيره ٢/٣٠٠.

(٢) ذكره السيوطى فى "الدر المنثور" ١/٢٣٣- ٢٣٤.

إنما الغاية أن تبذلوا للدين من جهدكم ما لم يقل عن جهدكم للدنيا، إذا لم تقدروا على أن تزيدوا جهدكم لدين أكثر من الدنيا، لأن الأمر بالطلب إنما جاء على حسب قولك أنت أيضاً للدنيا والدين جميعاً، وألفت نظرك إلى أن القرآن الذى وردت فيه هذه الآية، قد وردت فيه أيضاً: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ [1] وورد فى هذا القرآن نفسه: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىَ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً﴾[2] وجاء فى هذا القرآن نفسه: ﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[3] وجاء فى هذا القرآن نفسه: ﴿منكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾[4] وجاء فيه: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى﴾[5] وجاء فيه: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَآ إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[6] وجاء فيه: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾[7] وجاء فيه: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾[8] وجاء فيه: ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ

---

(١) الشورى: ٢٠.

(٢) الإسراء: ١٨-١٩.

(٣) آل عمران: ١٤.

(٤) (آل عمران: ١٥٢.

(٥) النساء: ٧٧.

(٦) الأنعام: ٣٢.

(٧) الأنعام: ٧٠.

(٨) الأنفال: ٦٧.

الآخِــرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾[1] وجاء فيه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[2] وجاء فيه أيضاً: ﴿وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِــرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ﴾[3] وجـاء فيـه أيضـاً: ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِـيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَىَ الآخِرَةِ﴾[4] وهناك آيات كثيرة تتضـمن مقارنـة بين الدنيا والآخرة، ولكن قصدى لم يكن استعابها وإحصائها، ولم تكن الحاجـة تقتضـى ذلـك أيضـاً، فذكـرنا عدداً من آيات كنماذج مختصرة ويمكن الرجوع إلى كـتاب الله للإطلاع على المزيد منها، وإنما المقصود من كل ذلك إن الذين يؤثرون أمر الدنيا عـلى أمـر الآخـرة هـم فى خسران ظاهر، فإن كنتم لا تقدرون على العدل بينهما فعليكم إيـثار الآخـرة فـى كل حال، إنى أعترف بأن الإنسان فى حياته الدنيا شديد الافتقار إلى الحاجيـات الدنيويـة، ولكـن الـذى لن يكون معقولاً هو أن يجلس الإنسان فى المراحيض طيلة نهاره، بناء إلى أنه مفتقر إلى الذهاب إليها.

ولـو دققـت الـنظر إلى الحكمة الإلهية لعلمت أن كل أمر فى الشريعة الإسلامية تحـت نظام ورابطة، وقد بين الله جل وعلا كل شىء، فإن تقسيم مواقيت الصلاة يشير إلى أن شـطراً واحـداً مـن مجموع أوقات الليل والنهار هو من حق العبد سواء بذله فى راحته

---

(١) التوبة: ٣٨.

(٢) هود: ١٥-١٦.

(٣) الرعد: ٢٦.

(٤) النحل: ١٠٧.

أو فـي كسـب معاشـه، أما الشطر الباقي فهو لله، ويقتضي اقتراحكم لجمع الدين والدنيا ذلـك أيضـاً، وهـو أن يـبذل شـطر واحد من مجموع أوقات الليل والنهار للدين أما الشطر الـباقي فيـبذل للدنيا، ولكنه إذا زادت شؤون الدنيا سواء كانت تابعة لراحة الجسم، أو كـانت لطـلب المعـاش، وطغت على شؤون الآخرة فمعناه أنكم جعلتم الدنيا راجحة، فإن نظريتكم فى هذا الصدد تقتضى مبدئياً بأن تبذلوا اثنتى عشرة ساعة من اليوم والليلة فى شـؤون الديـن ليـتأدى بذلـك حـق كـل واحد من الدين والدنيا على طريقة سواء، وحينئذ يصح القول بأن الله قد أمر بطلب حسنات الدارين، وبأن الإسلام لم يأمر بالرهبانية.

ولم يكـن قصدى هنا بيان هذا الأمر، ولكن قيامي بالرد على الشبهة الواردة فى هـذا الصـدد، قـد كـان مقصـود ذلـك فسـاقنى إلى بيانـه، ولذلـك اكـتفيت بالاختصـار وبالإشـارات، وإنمـا كـان مقصودى فـى هـذا الفصـل بيـان الأحاديث الدالة على ضرورة التبليغ والأمر بالمعروف، واكتفيت فى ذلك ببيان سبعة أحاديث رجاء أن تكفى والواحد مـنها يكفـى إذا كـانت القـلوب مقبـلة، وإذا لم تكـن القلوب مقبلة ففى آية: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1] كفايـة أكثر وأريد أن أقول لكم فى الأخير: إن بعـض الأحـاديث الشريفة إنما تدل على أن النبى ﷺ قد أمر فى زمن الفتنة الذى يطاع فيـه للشح وتتبع أهواء النفس وتؤثر الدنيا على الدين، ويعجب كل ذى رأى برأيه، ولا يقبل رأى غيره، بأن يترك الناس إصلاح غيرهم، ويقبلوا على ذات أنفسهم[2]، ولكن هذا

---

(١) الشعراء: ٢٢٧.

(٢) يقصد حديث حذيفة الذى يقول فيه: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى.. الذى رواه البخارى (٧٠٨٧٤) ومسلم (١٨٤٧).

الـزمن فـى نظر العلماء والشيوخ لم يأت بعد فيجب إذن أن تفعلوا ما تستطيعون فعله فلا قـدر الله أن يـأتى هـذا الـزمن بغـتة فإنـه لن ينفع حينئذ أى إصلاح ويجب أيضاً اجتناب الأخطـاء الـتى ذكـرت فـى هذا الحديث بقدر المستطاع لأنها أسباب الفتن وهى تسوق إلى الفـتن الصـريحة ولقـد سماها النبى ﷺ فى حديث من أحاديثه بالموبقات فاللهم احفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

الفصل الثالث

أهمية أن يعمل الداعى بما يأمر به الناس

أريد فى هذا الفصل أن ألفت النظر إلى أمر خاص فأشير إلى عيب يصدر من الناس فى هذه الأيام بصورة خاصة وذلك بجنب تقصيرهم فى عمل الدعوة والتبليغ وشدة غفلتهم عن الأمور الدينية فقد نرى عندما يسند إليهم عمل دينى مثل إلقاء المحاضرات أو كتابة المقالات أو العمل التعليمى أو التبليغ والوعظ وغيرها فهم ينصرفون إلى الاعتناء بأمر الآخرين وينسون أنفسهم ولا يرونها فى حاجة إلى الاعتناء بإصلاحها مع أن اعتنائهم بإصلاحها أهم وأولى من الاعتناء بأمر غيرهم وإصلاح حالهم، ولقد نهى رسول الله ﷺ فى غير موضع نهياً شديداً عن أن يقوم الرجل بنصح غيره ويتمادى بنفسه فى المعاصى لا ينفك عنها.

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "رأيت ليلة أسرى بى رجالاً تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون؟"[1].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ١٢٠/٣ و ١٨٠ و ٢٣١ و ٢٣٩ ، وابن أبى الدنيا فى "الصمت" (٥٠٩) وابن حبان فى "الموارد" (٣٥) والبغوى فى "شرح السنة" ٣٥٣/١٤ وابن أبى شيبة ٣٠٨/١٤ وأبو نعيم فى الحلية ٤٤/٨ و ١٧٢ والخطيب فى "تاريخ بغداد" ١٩٩/٦ ، وذكره الشيخ الألبانى فى "الصحيحة" (٢٩١).

ورى عن الوليد بن عقبة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن ناساً من أهل الجنة ينطلقون إلى أناس من أهل النار فيقولون بم دخلتم النار؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم، فيقولون: إنا كنا نقول ولا نفعل"(١).

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: "الزبانية أسرع إلى فسقة القراء منهم إلى عبدة الأوثان فيقولون: يبدأ بنا قبل عبدة الأوثان؟ فيقال لهم: ليس من يعلم كمن لا يعلم"(٢).

وكتب العلماء والشيوخ أن موعظة رجل لغيره بما لا يعمل به هو نفسه لا تنفع أبداً ولذلك ترى أن الحفلات والخطب قد كثرت اليوم بحيث تعقد وتلقى كل يوم ولكنها تذهب سدى ولا تنفع كما تظهر مقالات ومجلات كل يوم وهى لا تفيد ولا تنفع وقد قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النّاسَ بِالْبِرّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾(٣). وقال النبى ﷺ: "لا تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع، عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه ماذا عمل فيه"(٤).

---

(١) أخرجه الطبرانى فى "الكبير" ٤٠٥/٢٢ وذكره الهيثمى فى "المجمع" ١٨٥/١ و ٢٧٦ وقال: فيه أبو بكر الداهرى وهو ضعيف جداً.

(٢) أخرجه أبو نعيم فى "الحلية" ٢٨٦/٨ وذكره المنذرى فى "الترغيب" ١٢٤/١ وقال: رواه الطبرانى وأبو نعيم وقال: غريب من حديث أبو طوالة، تفرد به العمرى عنه، يعنى: عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الزاهد. قال الحافظ: ولهذا الحديث مع غرابته شواهد وهو حديث أبى هريرة الصحيح: "إن أول من يدعو الله يوم القيامة رجل جمع القرآن ليقال قارىء ـ وفى آخره ـ أولئك الثلاثة: أول خلق الله تُسَعَرُ بهم جهنم يوم القيامة"..

(٣) البقرة: ٤٤.

(٤) أخرجه الترمذى (٢٤١٦) و (٢٤١٧) والأول ضعيف والآخر صحيح.

عـن لقمـان يعـنى ابن عامر قال: كان الصحابى الجليل أبو الدرداء رضى الله عنه يقـول: إنمـا أخشـى مـن ربـى يوم القيامة أن يدعونى على رؤوس الخلائق فيقول لى: يا عويمر، فأقول: لبيك ربِّ، فيقول: ما عملت فيما علمت؟"[١].

عـن معـاذ بـن جبل رضى الله عنه قال: تعرضت أو تصديت لرسول الله ﷺ وهو يطـوف بالبيت فقلت: يا رسول الله! أى الناس شر؟ فقال رسول الله ﷺ: "اللهم غفراً، سل عن الخير ولا تسأل عن الشر، شرار الناس شرار العلماء فى الناس"[٢].

عـن جابـر قـال: قـال رسـول الله ﷺ: "العـلم علمان علم فى القلب فذلك العلم النافع، وعلم على اللسان فذاك حجة الله على ابن آدم"[٣].

فالمقصـود مـن كل ذلك أن تعرف أن العلم المتعلق بالقلب والباطن واجب تحصيله مـع تحصـيل العـلم الظاهـر ليتصف القلب أيضاً بالعلم، لأن العلم إذا لم يؤثر على القلب كـان حجـه مـن الله عـليه، وسـوف يعـاقب بـه صاحبه يوم القيامة على ما عمل به، وقد وردت روايـات كـثيرة متضـمنة عـلى الوعيـد الشديد على هذا التقصير، فلذلك أرجو من

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى "الحلية" ١/١٤.

(٢) أخـرجه البزار (١٦٧) وذكـر هالهيـثمى فـى "المجمع" ١/١٨٥ وقال: رواه البزار وفيه الخليل بن مرة. قال البخارى: منكر الحديث، ورد ابن عدى قول البخارى. وقال أبو زرعة: شيخ صالح.

(٣) أخـرجه الخطيـب فـى "تـاريخ بغداد" ٤/٣٤٦ والشجرى فى "الأمالى" ١/٦٠ وذكره المنذرى فى "الترغيب" ١/١٠٣ وقال: رواه الحافظ أبو بكر الخطيب فى تاريخه بإسناد حسن. ورواه ابن عبد البر النمرى فى كتاب العلم عن الحسن مرسلاً بإسناد صحيح.

المبـلغين والدعـاة الكـرام أن يهـتموا أولاً بإصـلاح أنفسهم ظاهراً وباطناً، لئلا يدخلوا فى مضـمار مـن يستحق هذه الوعيدات، وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يوفق برحمته الواسعة هـذا العاجز المذنب كذلك ليقوم بإصلاح نفسه ظاهراً وباطناً، لأنى لا أرى أحداً أكثر منى خطايا وذنوباً إلا أن يتغمدنى الله برحمته الواسعة.

الفصل الرابع

فضيلة إكرام المسلمين والنهى عن إهانتهم

وفي هذا الفصل أريد أن ألفت نظر الدعاة والمبلغين إلى أمر هام جداً وهو أن غفلة الداعي عن الحكمة في عمله وإن كانت غفلة خفيفة تأتي بمغبة سيئة وخطيرة، ولذلك يجب أن يحترس الداعي في عمله ويحتاط في أداء ذلك فإن كثيراً من الناس لا يبالون بالوقوع في هتك كرامة المسلمين لقوة ما عندهم من العاطفة الدعوية مع أن عرض المسلم شيء عظيم وله أهمية كبيرة، فقد ورد قول النبى ﷺ فى ذلك عن أبى هريرة مرفوعاً: "من ستر على مسلم ستر الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه"[1].

وعن ابن عباس مرفوعاً: "من ستر عورة أخيه ستر الله عورته يوم القيامة ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها فى بيته"[2].

على كل فقد ورد ذكر هذا الأمر المبهم فى روايات كثيرة فلذلك يجب على الدعاة والمبلغين أن يكونوا محترسين عن الوقوع فيما يكشف ستر المسلمين لأن صيانة عرض المسلم أهم من هذا العمل، فقد ورد عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: "ما من امرئ مسلم يخذل امرأً مسلماً فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) وأبو داود (٤٩٤٦) والترمذى (١٤٢٥) و (١٩٣٠) وأحمد ٢٩٦/٢ و ٥٠٠ و ٦٢/٤ و ٣٧٥/٥ والبيهقى فى "السنن" ٦/ ٢٠١ و ٣٣٠/٨ والخطيب فى "تاريخ بغداد" ١١٤/١٢ وغيرهم.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٥٤٦) وابن أبى الدنيا فى "قضاء الحوائج" (٩٥) وفيه محمد بن عثمان الجمحى ضعيف.

خذله الله تعالى فى موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ مسلم ينصر مسلماً فى موضع ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته إلا نصره فى موطن يحب فيه نصرته"[1].

وعن سعيد بن زيد رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: "من أربى الربا الاستطالة فى عرض المسلم بغير حق "[2].

وهناك روايات كثيرة ورد فيها وعيد شديد فى هتك عرض المسلم فيجب على الدعاة والمبلغين أن يكونوا محترسين عند قيامهم بالنهى عن المنكر، فلا يقعوا فى هتك عرض، فإن كان المنكر خفياً وجب أن يكون التنبيه عليه خفيا وإذا كان علناً فيكون التنبيه عليه علانية، وكلما قام الداعى بالتنبيه والنهى عن منكر غيره وجب عليه أن يهتم بأن لا تكون طريقته مسيئة إلى كرامة من ينهاه وينصحه، حتى لا يحصل له من هذا العمل الحسن شرٌ بدل الخير الذى يريده ويطلبه لنفسه من ذلك.

فالحاصل أنه يجب على الرجل أن يقوم بإنكار المنكر، لأن النذر التى ذكرناها سابقاً شديدة ولكن الواجب عليه أن يكون محترساً من أن ينال من عرضه وكرامته وأحسن طريقة فى ذلك أن يبدى استنكاره للسيئة علانية إذا أتى بها صاحبها علانية، ولكن السيئة التى لم يأتها صاحبها إلا سراً فعليه ألا يقوم نحوها بأمرٍ يكشف ما خفى من حاله، كما أن الحكمة فى الدعوة تقتضى أيضاً أن يكون الداعى رقيقاً فى عمله مع الناس.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٨٤) وأحمد ٣٠/٤ والحديث حسن شواهده.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٧٦) وأحمد ١٩٠/١ وذكره الشيخ الألبانى فى "التوسل".

لقد نصح رجلٌ الخليفة العباسى المأمون بطريقة جافية غليظة فقال له: كن لطيفاً فى نصيحتك، فقد أرسل الله سبحانه وتعالى موسى وهارون عليهما السلام وهما خير منك إلى فرعون وهو شرٌ منى فقال لهما: ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[1].

عن أبى أمامة قال فتى من قريش يا رسول الله ائذن لى فى الزنا! فأقبل القوم عليه وزجروه فقال: ادنه فدنا، فقال: "أتحبه لأمك؟" قال: لا والله جعلنى الله فداك، قال: "ولا الناس يحبونه لأمهاتهم"، ثم قال له مثل ذلك فى ابنته وأخته وعمته وخالته، فى كل ذلك يقول: "أتحبه لكذا؟" فيقول: لا والله جعلنى الله فداك، فيقول ﷺ : "ولا الناس يحبونه" فوضع يده عليه وقال: "اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه" فلم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شيء[2].

على كل فيجب على الداعى أن يستعمل ما يسعه من الدعاء والدواء والوعظ واللطف فى تذكير الناس، بل ليتخيل نفسه فى مكانهم، ثم يتصور ما هو الطريق الذى كان يستحسنه للتذكير والنهى عن المنكر.

---

(١) طه: ٤٤.

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٢٥٦/٥ و ٢٥٧ والطبرانى فى "الكبير" ١٩٠/٨ و ٢١٥ وذكره الهيثمى فى "المجمع" ١٢٩/١ وقال: رواه أحمد والطبرانى فى "الكبير" ورجاله رجال الصحيح، وصححه الشيخ الألبانى فى "الصحيحة" (٣٧٠).

الفصل الخامس

التذرع بالإخلاص والإيمان وبطلب رضى الله سبحانه فى كل عمل

أقدم فى هذا الفصل نصيحة إلى الدعاة والمبلغين الكرام، وهى أنه يجب عليهم أن يزينوا بالإخلاص والنصيحة كل ما يقومون به من خطابة أو كتابة فى سبيل الدعوة، لأن الإخلاص يجعل العمل الصغير كبيراً جداً فى ثمراته الدينية ونتائجه المادية، وأما إذا فقد الإخلاص من عمل فيصبح العمل بتجرده عنه فاقد الأثر والفائدة فى الدنيا والآخرة جميعاً.

قال النبى ﷺ: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"[١].

وقد ورد عن أبى فراس (رجل من أسلم) قال: نادى رجل فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: "الإخلاص"[٢].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) وابن ماجه (٤١٤٣) وأحمد ٢٨٥/٢ و ٥٣٩ والبغوى فى "شرح السنة" ٣٤١/١٤ والإمام أحمد فى "الزهد" (٤٦) والبيهقى فى "الأسماء والصفات" ٤٨٠ وأبو نعيم فى "الحلية" ٩٨/٤ و ١٢٤/٧ وغيرهم.

(٢) ذكره المنذرى فى "الترغيب" ٥٤/١ أحاديث عن الإخلاص وذكر قريب من هذا نسبة إلى أحمد والبيهقى وقال: وفى إسناد احتمال للتحسين.

عـن معـاذ بـن جـبل أنه قال ـ حين بعث إلى اليمن ـ يا رسول الله أوصنى، قال: "أخلص دينك يكفيك العمل القليل"[١].

وعـن أبـى أمامـة قـال: جـاء رجـل إلى رسول الله ﷺ فقال: أرأيت غزاً يلتمس الأجـر والذكر ماله؟ فقال رسول الله ﷺ: "لا شيء له، فأعادها ثلاث مرات ويقول ﷺ: لا شيء له، ثم قال: "إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه"[٢].

وورد فـى حديـث آخر "أن الله تعالى قال: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عمـلاً أشـرك فيـه معـى غـيرى تركـته وشـركه" وفـى روايـة فأنـا مـنه برىء فهو للذى عمله"[٣].

وعـن أبـى سـعيد بـن أبـى فضالة وكان من الصحابة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقـول: "إذا جمـع الله الأولـين والآخرين يوم القيامة ـ ليوم لا ريب فيه ـ نادى منادٍ: من

---

(١) أخـرجه الحـاكم ٣٠٦/٤ وأبو نعيم فى "الحلية" ٢٤٤/١ وذكره المنذرى فى الترغيب ٥٤/١ وقال: رواه الحاكم من طريق عبيد بن زجر عن ابن أبى عمران وقال: صحيح الإسناد كذا قال: قلت: إلا أن الذهبى تعقبه وقال: لا.

(٢) أخرجه النسائى ٢٥/٦ والطبرانى فى الكبير (٧٦٢٨) وإسناده حسن.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) وأحمد ٣٠١/٢ و ٤٣٥ من حديث أبى هريرة.

كان أشرك في عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عنده، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك"[1].

وفي حديث آخر: "من صلى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك، ومن تصدق يرائي فقد أشرك"[2].

وقد ورد في حديث آخر: "إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد، فأتي به فعرفه نعمته فعرفها، فقال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جرىء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: إنك عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارىء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها قال: ما تركت من

(١) أخرجه الترمذي (٣١٥٤) وابن ماجه (٤٢٠٣) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد ابن بكر.

(٢) أخرجه الإمام أحمد ١٢٥/٤ و ١٢٦ والطبراني في "الكبير" ٣٢٩/٤ وابن عساكر ٢١١/٧ والشجري في "الأمالي" ٢٢٤/٢ وذكره الهيثمي في "المجمع" ٥٤/٧ وقال: أخرجه البزار وفي رواية البزار كذاب وهو محمد بن السائب الكلبي.

سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال: هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب به على وجهه، ثم ألقى في النار"[1].

فمن أهم الأمور وأوجبها أن يعتنى الدعاة والمبلغون الكرام فى جميع جهودهم ومحاولاتهم الدعوية بأن يكون رضا الله سبحانه وتعالى واتباع سنة رسوله ﷺ مقصودهم ومطلوبهم وأن يعتنوا بأن لا يمسهم فيها طلب سمعة أو عزة أو مدح ابدأ، وإذا خطر ببالهم منها شئ فعليهم أن يدفعوها عنهم ويصلحوا أمرهم فيها، وأدعو الله سبحانه وتعالى لنفسي الحقيرة المذنبة أن يرزقني كذلك الإخلاص فى أعمالي كلها بكرمه وببركته وبركة أحاديث نبيه الكريم ﷺ .. آمين.

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥) من حديث أبي هريرة.

الفصل السادس

توقير العلماء والصالحين وعدم الاستخفاف بهم

فى هذا الفصل ألفت نظر عامة المسلمين إلى أمرٍ خاص وهو أن كثيراً من الناس إنما يرون إلى العلماء بعين مختلفة، فلا يبلغ نظرهم إليهم إلى حد الإعراض عنهم وسوء الظن بهم فحسب، بل وإلى مناوئتهم وتحقيرهم فى كثير من الأحيان، وذلك قبيح جداً وخطر على المكانة الدينية التى يحتلها هؤلاء الناس المخالفون، أقول ذلك وأعترف بأن جماعة العلماء تشتمل على أفراد سوء أيضاً، وبمثلها نجد فى كل جماعةٍ من جماعات الناس، وأنهم يشتملون على أفراد صدقٍ أيضاً، وإذا افترضنا أن نسبة أفراد السوء فى طبقة العلماء أكثر من أفراد السوء فى طبقة أخرى وعلماء السوء مختلطون بعلماء الحق، فالذى تجب مراعاته والعناية به هو أن لا يوصف أحد من العلماء بالسوء ما لم يتحقق أنه من أصحاب السوء، فقد جاء فى القرآن المجيد: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنّ السّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلّ أُولَـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾(1).

ومن الظلم المبين أن ترفض نصيحة رجل لأنه يخيل إليك أنه من علماء السوء.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ :

(1) الإسراء: ٣٦.

"لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا".[1].

فالحاصل من ذلك أن رسول الله ﷺ قد نهى المسلمين عن أن يصدقوا ما نقله الكفار وترجموه، أما نحن فقد بلغ الأمر بنا إلى حد أن رجلاً إذا تكلم بشيء يخالف رأينا نغضب ونهجم على هذا الرجل ونسعى لإهدار كرامته وتوهين شخصيته، ونقصد بذلك إبطال رأيه وقوله، وإن كان من المتحقق لنا أن هذا الرجل من أهل الحق الصالحين.

الأمر الثاني الهام هو أن علماء الحق والرشد والخير أيضاً لا تخلوا نفوسهم من دواعي الطبيعة البشرية ولا معصوم في الناس إلا الأنبياء عليهم السلام وحدهم، فالأخطاء والتقصيرات التي تصدر من العلماء إنما مسئوليتها على أنفسهم وهو أمر يتعلق بالله سبحانه وتعالى إن شاء آخذهم عليها وإن شاء عفا عنهم فيها وأغلب الظن في ذلك هو أنَّ هذه التقصيرات والأخطاء سيغفرها الله تعالى، ومن عادة الله سبحانه وتعالى أنه يتلطف في شأن أولئك الذين تركوا شئون أنفسهم الدنيوية واشتغلوا بالعمل في سبيل ربهم، وانصرفوا إلى هذا العمل، فالمرجو أن يصفح الله عنهم فإنه لا رحيم مثله ولا كريم غيره، ولكنه إذا أراد أن يؤاخذ هؤلاء على تقصيراتهم، وذلك إظهاراً لعدله فذلك أمر يتعلق به وله الخيار في ذلك، فمعارضة الناس للعلماء لمثل هذه الأسباب، وتنفيرهم للناس عنهم، وإفساد ظنهم فيهم، والسعي لتجنيب الناس عنهم لا يجر إلا إلى فساد دين الناس، ويكون وبالاً عظيماً لفاعليه.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٨٥) و (٧٢٦٢) و (٧٥٤٢) والبيهقي في "السنن" ١٠/١٦٣ والبغوي في "شرح السنة" ١/٢٦٩ وابن أبي شيبة ٩/٤٨ وغيرهم.

وقد قال النبي ﷺ: "إن من إجلال الله تعالى إكرام ذى شيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالى فيه ولا الجافى عنه وإكرام ذى السلطان المقسط"[1].

وورد فى حديث آخر: "ليس من أمتى من لم يبجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف عالمنا"[2]، وأيضاً عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال: "ثلاث لا يستخف بهم إلا منافق، ذو الشيبة فى الإسلام وذو العلم وإمام مقسط"[3].

وروى عن أبى مالك الأشعرى أنه سمع النبى ﷺ يقول: "لا أخاف على أمتى إلا ثلاث خصال: أن يكثر لهم من الدنيا فيتحاسدوا، وأن يفتح لهم الكتاب يأخذه المؤمن يبتغى تأويله:

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[4]

وأن يروا ذا علم فيضيعوه ولا يبالوا عليه"[5].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٤٣) والبيهقى فى "السنن" ١٦٣/٨ والبغوى فى "شرح السنة" ٤٢/١٣ والشجرى فى "الأمالى" ٢٤١/٢ و ٢٤٦ و ٢٤٧ وإسناده حسن.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٤٣) والترمذى (١٩٢٠) والحاكم ٦٢/١ وأحمد ٢٥٧/١ و ١٨٥/٢ و ٢٠٧ والحميدى (٢٥٨٦) والطبرانى ١٩٦/٨ و ٣٦٨ و ٤٤٩/١١ والبخارى فى "الأدب المفرد (٣٥٨) وفى "التاريخ الكبير" ٣١٢/٧ وابن حبان فى "الموارد" (١٩١٣) والطحاوى فى "المشكل" ١٣٣/٢ وأخرجه أيضاً الترمذى (١٩١٩) و (١٩٢١) كلهم بألفاظ متقاربة وأسانيد مختلفة والحديث حسن بشواهده.

(٣) أخرجه الطبرانى فى "الكبير" (٧٨١٩) وذكره الهيثمى فى "المجمع" ١٢٧/١ وقال: وفى عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد وكلاهما ضعيف.

(٤) آل عمران: ٧ .

(٥) أخرجه الطبرانى فى "الكبير" كما قال الهيثمى فى "المجمع" ١٢٧/١و١٢٨ وقال: وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش عن أبيه ولم يسمع من أبيه.

فإذا كان الأمر أن الراسخين فى العلم أيضاً لا يجترئون بالتجاوز عن تصديقها فكيف يليق بالعامة أن لا يرضوا لقبولها إلا بالمراء والإنكار، أما الأمر الثالث فهو أن يضاع حق العلماء وألا يهتم بشأنهم.

وذكر صاحب كتاب "الترغيب" هذا الحديث برواية الطبرانى كما وردت روايات أخرى كثيرة فى هذا المعنى فى كتب الحديث الشريف.

إن النعوت التى يستعملها الناس لعلمائهم وللعلوم الدينية اليوم بوجه عام، إنما جاء ذكر كثير منها فى كتاب "الفتاوى الهندية" بأنها كلمات كفر، ولكن الناس لجهالتهم غافلون عن هذا الحكم فيجب لذلك أن يحتاط الناس احتياطاً شديداً فى استعمال مثل هذه النعوت، ولو افترضنا أن جميع هؤلاء الذين نسميهم بالعلماء هم علماء السوء، فلن ترتفع مسئوليتكم إذن كذلك بمجرد أن تقولوا إنهم علماء السوء، بل يكون حينئذ واجباً على جميع المسلمين فى العالم أن ينشئوا جماعة لعلماء الحق وأن يتعلم جميع الناس العلم الدينى لأن وجود العلماء فرض كفاية، وإذا وجدت جماعة لهذا الغرض سقط هذا الواجب عن الجميع، وإذا لم يفعلوا ذلك فيقع الذنب على الجميع.

ويورد الناس شبهة أخرى بقولهم: إن اختلاف العلماء هو الذى جاء بمصائب كثيرة على العامة، فهذه الشبهة ربما تكون صحيحة فى بعض جوانبها ولكن الذى لا شك فيه أن اختلاف العلماء هذا ليس ناشئاً منذ اليوم ولا منذ خمسين سنة أو منذ قرن واحد، بل إنه ناشئ منذ قرون الخير الأولى منذ زمن النبى ﷺ.

أرسل رسول الله ﷺ صحابيَّه أبا هريرة رضى الله عنه مرة مع نعليه الشريفين وقال: "اذهب بنعلى هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله

مستيقناً بها قلبه، فبشره بالجنة" فقال: فضرب عمر بيده بين ثديَّ ضربة فخررت لاستي، فقال: ارجع أبا هريرة"[1].

ضرب عمر رضى الله عنه على صدره، حتى سقط أبو هريرة رضى الله عنه على الأرض ولم يحدث على هذا الحادث أى احتجاج ولم تلصق إعلانات الاستنكار على الجدران كما يحدث فى هذه الأيام ضد عمل عمر رضى الله عنه.

لقد اختلف الصحابة رضوان الله عليهم فى آلاف من المسائل والأحكام أما أئمة الفقه الأربعة فقلما توجد مسألة فرعية وفيها اختلاف بينهم وقد وجدت أنا شخصياً مائتى مسألة وقع فيها الاختلاف بين هؤلاء الأئمة الأربعة فى ركعتين اثنتين من تكبيرة التحريم إلى سلام الخروج من الصلاة، أما عند غيرى فقد يوجد أكثر من هذا، ولكنى لا أظن أنك تجد من المسائل ثلاثة أو اثنين كرفع اليدين أو الجهر بقول آمين كانت شهرتها كبيرة أو ظهرت إعلانات أو عقدت حفلات ومناظرات فى سبيلها، وذلك لأن جمهور المسلمين غير مطلع على هذه المسائل، إما فى العلماء فالاختلاف رحمة، ومن المعروف أن العالم يفتى على دليل شرعى، فإن كان دليله غير صائب فى نظر عالم آخر فلابد من أن يلجأ هذا العالم الآخر إلى الاختلاف عنه، وإن لم يقم بالاختلاف فى شأنه، فإنما يكون مداهناً وعاصياً لأمر الله.

الحقيقة أن الناس يلجئون إلى أعذار باردة سخيفة ليتهربوا بذلك من أداء العمل، ألا يرون أن الاختلاف يوجد بين الأطباء كثيراً وبين المحامين كذلك فهل ترك الناس الرجوع إلى هؤلاء فى طلب العلاج وإلى أولئك للمرافعات القضائية؟ ثم لماذا

(١) أخرجه الإمام مسلم (٣١).

يحتجون باختلاف العلماء لتركهم العمل الديني مع أن الذى يؤدى العمل بصدق وإخلاص فالمرجو فى شأنه أنه يعتمد فى ذلك على رأى العالم الذى يطمئن إلى علمه ويجده متبعاً للسنة السنية وعليه أن يحترز من الطعن والتعريض فى حق الآخرين فالذى لا يدرك الدلائل والحجج ولا يفهمها ولا يستطيع ترجيح بعضها على بعض فليس له من الحق أن يتدخل فى ذلك فلقد روى عن النبى ﷺ أن نقل العلم من أولئك الذين ليسوا أهلاً له لن يكون إلا إضاعة له ولكن الأمر إذا كان معكوساً بحيث لا يرى أحد مانعاً من أن يطلق لسانه على قول الله جل وعلا وقول رسوله الكريم ﷺ فماذا نقول إذن فى حق العلماء فإنهم فى هذا الحال عرضة لكل سوء: ﴿وَمَن يَتَعَدّ حُدُودَ اللّه فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1].

(١) البقرة: ٢٢٩.

الفصل السابع

سمات أهل الحق وأهمية صحبتهم

وهذا الفصل تكملة للفصل السابق أقوم فيه بالرجاء من قراء هذه الرسالة أن يعرفوا أن الاتصال بالأخيار من عباد الله وكثرة الحضور فى مجالسهم يزيد قوة فى الأمور الدينية ويسوق الخير والبركات الدينية إلى صاحبها قال النبى ﷺ: "ألا أدلك على ملاك هذا الأمر الذى تصيب به خير الدنيا والآخرة عليك بمجالس أهل الذكر"[١]. الحديث.

ولابد من تعريفٍ لخيار عباد الله، إن صفتهم وعلامتهم أنهم يتبعون السنة المحمدية السنية، فقد أرسل الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم ﷺ أسوة لتهتدى به أمته، فقد قال فى كلامه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢] فكل من يكون صادقاً فى اتباع النبى ﷺ فإنما يكون من خيرة عباد الله سبحانه وتعالى وكل من يكون بعيداً عن هذا الاتباع يكون بعيداً عن القربة عند الله، وقد كتب المفسرون أن الذى يزعم لنفسه محبة الله وهو مخالف لسنة رسول الله ﷺ فهو كاذب، لأن قانون المحبة يقتضى لمن يحب أحداً أن يكون محباً لداره وفناء بيته، وجدرانه، وبستانه، حتى لكلبه وحماره:

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى "الحلية"١/٣٦٦و٣٦٧ بسند ضعيف فيه عثمان بن عطاء الخرسانى وهو ضعيف.

(٢) آل عمران: ٣١.

أمـــر عـــلى الديـــار ديـــار ليـــلى ... أقـــبل ذا الجـــدار وذا الجـــدارا

ومـــا حـــب الديـــار شـــغفن قلـــبى ... ولكـــن حـــب مـــن ســـكن الديـــارا

ويقول:

وتعصـــى الإلـــه وأنـــت تظهـــر حـــبه ... هـــذا لعمـــرى فـــى الفعـــال بديـــع

لـــو كـــان حـــبك صـــادقاً لأطعـــته ... إن المحـــب لمـــن يحـــب مطيـــع

عـن أبـى هريـرة رضـى الله عـنه قـال: قـال رسول الله ﷺ: "كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى"قيل: ومن أبى؟ قال: "من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى"

وممـا يـبعث عـلى الحـيرة والعجـب أن الذيـن يـزعمون لأنفسـهم الإخـلاص والنصيحة للإسلام والمسلمين هـم بعيدون كل البعد عن الطاعة لله ورسوله وقد يبلغ من صفاتهم أنك إذا قلت أمامهم إن العمل الفلانى لا يتفق مع أوامر رسول الله ﷺ ولا يوافق سنته فكأنك طعنتهم برمح.

كـل مـن يسير على طريق غير طريق الرسول ﷺ لن يكون وصوله إلى المقصود، عـلى كـل فـإن الواجب على كل من يعلم عن أحد أنه من خير عباد الله سبحانه وتعالى أن ينشـىء معـه الاتصـال ويحضر فى مجالسه بكثرة وأن ينتفع بعلومه، فذلك طريق للرقى الدينى، وهو من أوامر النبى ﷺ كذلك.

وورد عن ابن عباس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: مجالس العلم"[1].

---

(١) أخرجه الطبرانى فى "الكبير" (١١١٥٨) وذكره الهيثمى فى "المجمع" ١٢٦/١ وقال: وفى رجل لم يسمَّ.

عـن أبـى أمامـة قـال: قـال رسـول الله ﷺ: "إن لقمـان قال لابنه يا بنى عليك بمجـالس العـلماء واسمـع كـلام الحكمـاء فإن الله ليحيى القلب الميت بنور الحكمة، كما يحيى الأرض الميتة بوابل المطر"[1].

وعـن ابـن عـباس قال: قيل يا رسول الله أى جلسائنا خير؟ قال: "من ذكركم الله رؤيته وزاد فى علمكم منطقه وذكركم بالآخرة عمله"[2].

وقـال الله تعالى: ﴿يَـاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[3].

وكـتب المفسـرون أن المـراد مـن الصادقين هنا هم أصحاب تربية النفس والتزكية فـإن الـذى يصـحبهم ينال من تأثير تربيتهم وقوة الولاية التى هم عليها فيتمكن بها من إحراز المراتب الدينية العالية.

عـن أبى هريرة وأبى سعيد رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال:

"لا يقعـد قـوم يذكـرون الله إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده"[4].

---

(١) ذكـره الهيـثمى فى "المجمع" ١٢٥/١ وقال: رواه الطبرانى فى "الكبير" ٢٣٦/٨ وفى عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد وكلاهما ضعيف. وذكره المنذرى فى "الترغيب" ١١٢/١ وقال: رواه الطبرانى فى "الكبير" من طريق عبيد بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم وقد حسنها الترمذى لغير هذا المتن ولعله موقوف والله أعلم.

(٢) ذكـره الهيـثمى فـى "المجمع" ٢٢٦/١٠ وقال: رواه أبو يعلى فى إسناده مبارك بن حسان وقد وثق. وذكره المنذرى فى "الترغيب" ١١٢/١ وقال: رواه أبو يعلى ورواته رواة الصحيح إلى مبارك بن حسان. وذكره الحافظ فى "المطالب العالية" (٢٧٧٣) و (٣٢٣٣).

(٣) التوبة: ١١٩.

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٠٠) والترمذى (٣٣٧٨) وأحمد ٩٢/٣ والبغوى فى "شرح السنة" ١٠/٥ وأبو نعيم فى الحلية ٢٠٥/٧.

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه: عن رسول الله ﷺ قال: "ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم منادٍ من السماء ن قوموا مغفورا لكم، قد بدلت سيئاتكم حسنات"(1).

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما قعد قوم مقعداً لم يذكروا الله عز وجل فيه ويصلوا على النبى ﷺ إلا كان عليهم حسرةً يوم القيامة وإن دخلوا الجنة للثواب"(2).

ومن دعوة سيدنا داود عليه السلام: يا رب إن رأيتنى أخرج من مجلس الذاكرين إلى مجلس الغافلين فاكسر رجلى".

يقول أبو هريرة رضى الله عنه: إن المجالس التى يذكر الله فيها إنما تتلألأ لأهل السماء كما تتلألأ النجوم لأهل الأرض.

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه مرَّ بسوق المدينة فوقف عليها فقال: يا أهل السوق ما أعجزكم قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراث رسول الله ﷺ يقسم وأنت هاهنا ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟ قالوا: وأين هو؟ قال: فى المسجد، فخرجوا سراعاً ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا فقال لهم: ما لكم؟ فقالوا: يا أبا

---

(1) أخرجه الإمام أحمد ١٤٢/٣ والبزار (٣٠٦١) وأبو نعيم فى "الحلية" ١٠٨/٣ وذكر الهيثمى فى "المجمع" ٧٦/١٠ وقال: فيه ميمون المرائى وثقة جماعة وفيه ضعف.

(2) أخرجه الإمام أحمد ٤٦٣/٢ وفى الزهد (٢٧) وابن حبان فى "الموارد" (٢٣٢٢) وذكره الهيثمى فى "المجمع" ٧٩/١٠ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح وذكره الشيخ الألبانى فى "الصحيحة" (٧٦).

هريرة قد أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نر فيه شيئاً يقسم، فقال لهم أبو هريرة: وما رأيتم في المسجد أحداً؟ قالوا: بلى رأينا قوماً يصلون وقوماً يقرءون القرآن وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام فقال لهم أبو هريرة: ويحكم فذاك ميراث محمد ﷺ[1].

لقد ذكر الإمام الغزالي روايات كثيرة من هذا القبيل وأعظم من ذلك كله قول الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾[2].

وقد ورد في روايات عديدة أن النبي ﷺ كان يشكر الله جل جلاله ويقول: "إنه خلق في أمتي رجالاً أمرت بصبر نفسي معهم"، وورد في هذه الآية الكريمة ذكر جماعة أخرى تكون قلوبها غافلة عن ذكر الله وهم يتبعون أهوائهم وكان أمرهم فرطا فنهى الله نبيه عن اتباعهم.

(١) قال العراقي في "تخريج الإحياء" ٢٦٦/١ رواه الطبراني في "الصغير" بإسناد فيه جهالة أو انقطاع.

(٢) الكهف: ٢٨.

فـليفكر هـؤلاء الـناس حين يتخذون الكفار والفساق قدوةً وأئمةً لهم فى كل شأن مـن شـئونهم سـواء كـان من أمور الدنيا أو من أمور الدين ويتفانون حباً وفداءً للمشركين والنصارى فليفكر هؤلاء ما هو الطريق الذى أصبحوا اليوم يسلكونه.

تم بحمد الله،،،

الفهرس